

التكوين العلمي للشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر الهواري

The scientific formation of Sheikh Abi Abdullah Muhammad bin Omar Al-Hawari

وهواني قدور *

جامعة تلمسان (الجزائر)،

ملخص:

بلغ الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري مكانة كبيرة بين أبناء عصر ق (8 و9هـ) وكم كان ذلك العصر غنيا بالعلماء فقد كان معاصرا لعبد الرحمن ابن خلدون فقد ذاع صيته حتى وصل الآفاق، فقد ألف أول كتبه في سن 25 ودرس بمدينة فاس زمن الدولة المرينية، زمن أبي حسن المريني الذي ولد (769هـ/1329م) وتوفي سنة (759هـ/1358م) وحكم لمدة 20 سنة (749هـ-1348م / 759هـ-1358م). وما كان بإمكانه ان يصل هذه المكانة لولا التكوين العلمي الذي خضع له منذ نعومة أظفاره، بداية بحفظه كتاب الله، ورحلته العلمية إلى الصحراء ثم إلى المغرب الأقصى ومنه نحو الشرق فقصص مصر والحجاز ثم الشام، حتى استقر به المقام في وهران.

الكلمات المفتاحية: الهواري ؛ التصوف ؛ العلماء، المغرب الأوسط، وهران

Abstract:

Imam Abu Abdullah Muhammad ibn Omar al-Hawari reached a great position in the 8th and 9th century AH, and how rich that era was for scholars. He was a contemporary of Abd al-Rahman Ibn Khaldun, and he spread his fame until he reached the horizons. He wrote his first books at the age of 25 and studied in Fez at the time of the Marinid state. The time of Abu Hassan Al-Marini, who was born (769 AH / 1329 AD) and died in the year (759 AH / 1358 AD) and ruled for 20 years (749 AH - 1348 AD / 759 AH - 1358 AD) He would not have reached this position had it not been for the scientific training that he underwent from a very early age, beginning

*المؤلف المرسل

with his preservation of the Book of God, and his scientific journey to the desert, then to the far Maghreb and from there towards the east, and he went to Egypt, the Hijaz, and then the Levant, until he settled there in Oran.

مقدمة:

بلغ الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري مكانة كبيرة بين أبناء عصر ق (8 و9هـ) وكم كان ذلك العصر غنيا بالعلماء فقد كان معاصرا لعبد الرحمن ابن خلدون فقد ذاع صيته حتى وصل الآفاق، فقد ألف أول كتبه في سن 25 ودرس بمدينة فاس زمن الدولة المرينية، زمن أبي حسن المريني الذي ولد (769هـ/1329م) وتوفي سنة (759هـ/1358م) وحكم لمدة 20 سنة (749هـ- 1348م / 759هـ-1358م).

وما كان بإمكانه ان يصل هذه المكانة لولا التكوين العلمي الذي خضع له منذ نعومة أظفاره، بداية بحفظه كتاب الله، ورحلته العلمية إلى الصحراء ثم إلى المغرب الأقصى ومنه نحو الشرق فقصده مصر والحجاز ثم الشام، حتى استقر به المقام في وهران.

خلال كل هذه المدة استفاد الامام من تكوين علمي كبير جعله من أكبر اعلام عصره وجعل كلمته مسموعة لأجيال. فماهي أهم الاجازات التي تحصل عليها؟ ومن هم اهم العلماء الذين درس على أيديهم؟ وماهي أهم المؤسسات العلمية التي قصدها لطلب العلم؟

قُرُن اسم الشيخ محمد بن عمر الهواري بمدينة وهران، وتحول ضريحه عبر التاريخ إلى أحد أكبر مزاراتها، وكما يقول مؤلف كتاب "الشجر الجماني في ابتسام الشجر الوهراني" هو "أحمد بن سحنون الراشدي" الهواري هو قطب وهران الذي عليه مدارها، وبدورها الذي أحجل الأقمار المتزايد إبدارها، ومطأطئ الأعناق الرفيع مقدارها، والرؤوس العلية أقدارها، سيدي محمد بن عمر بن عثمان بن منيع بن عياشة بن عكاشة بن سيد الناس بن أمين الناس الغيار المغراوي والمشهور بالهواري¹، وقد نقل مؤلفنا نسبه عن ابن صاعد عن تلميذه ابراهيم التازي.²

والمواري نسبة إلى هواره، أحد طوائف البربر وأعمدة نسبها³، ولما نشأ في مغراوة وترى في هواره قيل له تارة المغراوي وأخرى المواري وهو الأشهر⁴.

تكوينه الفكري:

يعتبر محمد بن عمر المواري من أشهر رجال العلم والتصوف في المغرب الأوسط، حيث يصفه تلميذة إبراهيم التازي قائلاً، كان هذا الولي سيدي محمد المواري رحمه الله، آية من آيات الله في ذلك الزمان، وشيخ من مشايخه في المقامات والعرفان، سبقت من الله العناية، فجمع له بين العلم والولاية، ورقاه في درجات التقوى إلى الغاية⁵:

حوى من فنون العلم ما أعجز الورى فله منه ما حواه وما ضما

وأيده منه النطق بالحكم التي على كل قلب خائف أمضت الحكما

فكانت نشأته منذ أنبته الله نشأة حسنة وأوصافه في صغره أوصافاً مستحسنة، تولى الله حفظه فكانت أحواله مبنية على الهوى والرشد، مؤسسة على التوفيق والسداد، ما لعب قط مع الصبيان ولا شغله اللهو الذي كان يشغل به أترابه من الولدان⁶.

1- تعليمه وصفاته الذهنية في صغره:

كان من أهل المعرفة والحذق بقراءة القرآن، وكان أول معلم له هو "علي بن عيسى"، فقال له والده عند إحضاره عند المعلم: "يا علي إياك أن تضجر هذا الولد أو تسوطه، فإني أرجو من الله أن يفرحني به ومنه أسأل تسديده ومعونته"، فأخذ المعلم في تأديبه وتعليمه فرأى عليه المؤدب أثر الغفلة والفتور في أحواله فظن أن ذلك من البله الذي يعتري أكثر الصبيان فشدد عليه في الزجر وأمره بتعلم الحذق والفتنة وربما ضربه على ذلك، فبصر به والدهن فقال له: يا فقيه لا تضربه ودعه على حاله فإني أودعته لخالفه سبحانه وإني أرجو من الله أن يجعله من الصالحين، لأنه ليس كالأولاد ما يطلب على طعام ولا شراب ولا وقفت له على كذبة فقال له المؤدب كيف أترك تأديبه وهو على هذه الحالة من العقل والمشي بالخافا، وعدم الحذق في أحواله، فقال له والده: دعه على حاله فإن ذلك من جملة التسديد

والتوفيق الذي ينشأ عليه الشباب الذي يخصه الله بولايته ويخصصه لعبادته.⁷ (الكلام على لسان تلميذه إبراهيم التازي⁸). ويبدو أن صفة الصمت والتأمل لازمت الشيخ منذ صغره ولملازمتها لشخصيته ظن شيخه أنه تأخر ذهني.

هذه بعض الصفات الذهنية التي اتصف بها الشيخ محمد بن عمر الهواري والتي اختلف في تفسيرها والده وشيخه، فقد ذهب شيخه إلى وصفها بالغفلة، وقال ولده بأنها شكل من أشكال الولاية أو بلغة بسيطة (الدروشة).

ب - رحلته في طلب العلم:

خرج الشيخ محمد بن عمر الهواري من موطنه وهو دون العاشرة من العمر، بعد أن أتم حفظ كتاب الله تعالى، وقد ذكر ذلك في كثير من كلامه، حيث ذكر أن أول ما فتح الله به عليه أنه خرج من موطنه بعد حفظه للقرآن وهو دون العشرة من السنين، فدخل كلميتو فوجد بها شيخا من الأولياء في غار في خلوة فدعا له أن يكون من أهل الطريق، فقبل الله دعوته ورقاه إلى درجة أولى التحقيق.⁹

ثم فارق هذا الشيخ وطاف البلاد شرقا وغربا، يجول في الصحراء البعيدة، والفلوات المقفرة وطعامه فيها الحشيش وأوراق الشجر، وتحالطه فيها السباع ولا يخافها.¹⁰ ويلاحظ أن المصادر تسكت عن ذكر اسم هذا الشيخ وهل كانت المدة التي لازمه فيها الشيخ، وهذا من غير المنطقي نظرا للتأثير الكبير الذي كان له على شيخنا محمد الهواري، كما أن صاحب كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني يتحدث علامات معينة تميز الصوفية اعتاد المؤرخون ذكرها عند الحديث عن التصوف ومنها مخالطة السباع في الفياضي والقفار دون الخوف منها نظرا لروح التوكل على الله التي يتميز بها، وعيشته البسيطة التي وصلت إلى حد أكل الحشيش وأوراق الشجر. ويذكر أحب كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" انه كان آية الله في فنونه ومكاشفته.¹¹

وقد تكون الفترة التي تتحدث عنها المصادر هي بداية تصوف الشيخ وهي الفترة التي تلت لقاءه بهذا المتعبد الورع الولي الصالح كما وصفته المصادر على لسان إبراهيم التازي، أي قبيل بداية رحلته إلى الجنوب.

ولما نال من الشيخ بغيته، وقبل الله فيه دعوته خرج من وطنه مهاجرا إلى الله مقبلا على طلب العلم والعبادة، فطاف في البلاد شرقا وغربا وتجول في الصحاري الخالية البعيدة من العمران.

وإذا كانت المصادر تتحدث بالتقريب عن السن الذي أكمل فيها حفظه للقرآن فإنها لا تفصل في السن التي بدا فيه رحلته العلمية، وجاءت التأويلات مختلفة بهذا الشأن ومنها دخوله مدينة فاس سنة 776هـ وعمره خمسة وعشرون سنة.

أ- رحلته إلى بجاية: دخل بجاية في فترة ازدهارها ورفيها العلمي والحضاري، خاصة أن بجاية كانت تضم العديد من الأعلام والعلماء، وتحفظ المصادر للشيخ الهواري عدة نصوص يتحدث فيها عن بجاية وجمالها وعلم وأخلاق أهلها. يروي صاحب روضة النسرين أنه دخلها بعد صومه سنة، فقد درس على يد أعلامها، وأهمهم الشيخين أحمد بن إدريس وعبد الرحمن الوغلسي وهما أستاذي ابن خلدون.

وقد لقي بها جماعة من العلماء أهل الصدق والورع، فأجازوه في جميع العلوم، وقد أشار لمقبريه بذلك قائلا: "وعندي إجازة وأنا صبي دون لما" يعني إجازات عديدة، وقد أعجب بهذه المدينة ووصفها في نظمه المسمى التسهيل بقوله:

لو وصفت لك ما رأيت في بجاية وهي هيا

بلد الورع والعلم وتراي حقيقيا

فأقام بها مدة أعوام مواصلا الجد والاجتهاد في قراءة العلوم المنقول منها والمفهوم، واستظهر هناك حفظ كثير من الكتب قل أن يحفظها غيره.

قال الحافظ أبو راس في "عجائب الأخبار" وفي "الخبر المعرب": "إن الشيخ الهواري أخذ ببجاية الشيخ أحمد بن إدريس، والشيخ عبد الرحمن الوغليسي¹²، يقول صاحب روضة النسرين: "ثم لما أخذ في

درس المدونة البراذعية وبلغ فيها إلى كتاب الصيد سافر من بجاية مغربا لمدينة فاس¹³، سنة (776هـ/1374-1375م)، وهو ابن خمسة وعشرين سنة.¹⁴

ب- رحلته إلى فاس: رغم الترحيب والراحة اللتان وجدهما الشيخ محمد بن عمر الهواري في مدينة بجاية إلا أن الضرورة العلمية فرضت عليه أن يسافر إلى فاس وهي منارة من منارات العلم بالمغرب الإسلامي.

أخذ في فاس عن الشيخ الإمام الحافظ موسى العبدوسي، وعن زعماء الفقهاء والمتكلمين أحمد القباب، فأقام بمدينة فاس للقراءة عليهما جملة أعوام معروفا عند أهلها بالعلم والديانة عظيم القدر، ومعروف المكانة. وكان مشايخ الوقت يعظمونه ويخطبونه على صغر سنه بالسيادة، ومن قوله في تبصره.

قال الحافظ أبو راس في "عجائب الأخبار" وفي "الخبر المعرب": "إن الشيخ الهواري كان كثير السياحة أخذ بفاس عن العبدوسي والقباب".¹⁵

في فاس أتم حفظ المدونة وهو حينئذ ابن خمس وعشرين سنة، وذلك سنة (776هـ/1374-1375م).¹⁶

وفي هذه السنة انتقل للتدريس، وكان طلبة فاس يقرؤون عليه القرآن والكتب العربية، والفقهاء، ويتحدثون أنهم ما رأوا أبدا من قراءته ولا أفيد من تعليمه. كما نظم في هذه السنة كتابه المسمى بالسهو في أحكام الطهارة والصلاة، وهو من أجمل الكتب لأحكام مسائل الطهارة والصلاة، وأعظم فائدة وأعملها بركة، سماه في بعض كلامه بالمؤانس.

ج- رحلته إلى الحجاز: لم تكن رحلة الشيخ محمد بن عمر الهواري إلى الحجاز رحلة عبادة فقط إنما كانت رحلة علم أيضا، حيث يقول صاحب روضة النسرین: "فاعمل الرحلة شرقا لأداء فريضة حجة الإسلام، ولقاء من هناك من أكابر العلماء الأعلام، ولم ينس أن يمر بمصر خلال قصده البيت الحرام"¹⁷، وأخذ فيها عن الحافظ العراقي.¹⁸

د- زيارته لبيت المقدس واستقراره بالشام: انتقل بعدها إلى فلسطين وحضر عدد من الدروس بالمسجد الأقصى ثم إلى دمشق يدرس العلم.

وينال فضل الصلاة في المساجد الثلاث، المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، وجال بأرض الشام ومكث بالجامع الأموي بدمشق¹⁹.

هـ- رجوعه إلى وهران: ثم عاد إلى وهران وظل يدرس بها الفقه والحديث وشتى علوم الدين حتى تكون له عدد كبير من التلاميذ الذين سنيرون وهران عبر تاريخها ومن لحقهم من تلاميذ.

كان من أهم تلامذته الشيخ إبراهيم التازي الذي سيكون له أثر كبير في وهران والحافظ أبوراس.

ومما روي عن الشيخ محمد الهواري، أن كان يتكلم مع الناس فيشير إلى كل الحاضرين بما في خاطره، ويحييه عما في ضميره، حتى عن العلماء يعضل عليهم فهم النوازل، ويعجز عن حلها أكابرهم، فيحضرهم مجلسه ومعهم أرباب الحوائج، التي انبههم عليهم أمرها، فيتكلم بكلام مشترك، منه كل حاضر حاجته، من غير أن يسأله عن شيء.²⁰

لقد تداخلت عدة عوامل لتتداخل في التكوين العلمي للشيخ محمد بن عمر الهواري، وأهمها:

- طبيعته وفطرته، إذ كان منذ الصغر يميل إلا الصمت والتأمل وهي من صفات العلماء والمتصوفة.

- قناعة والده بقدرات ابنه وتنبيه معلمه بضرورة فهم حقيقة وطبيعة الابن المتعلم.

- لقاء الشيخ بالولي الصالح وتأثره به، واكتساب سلوك التصوف منه.

- رحلة الشيخ الهواري جنوبا وشمالا غربا وشرقا واستفادته منه.

- دخول الشيخ بجاية وهي في أوج ازدهارها وزخمتها العلمي والمعرفي وانسجامه مع جوها مما جعله

يعجب بذلك وينظم شعرا يعبر فيه عن روعتها.

- دراسته بفاس زمن أبي عنان المريني، الذي عُرف باستقطابه لعلماء المغرب الإسلامي، واشتهاره بمجالس العلماء، وبلغ نبوغ الشيخ الهواري أن انتقل من الدراسة إلى التدريس.
- زيارة الشيخ للأزهر الشريف منارة العلم الأولى في العالم الإسلامي، واستفادته من علمائها.
- زيارته للبقاع المقدسة بمكة والمدينة، من أجل القيام بفريضة الحج والنهل من منبع العلم الصافي.

- زيارة بيت المقدس للتعبّد ثم استقراره بالشام واحتكاكه بأكبر علماء تلك الفترة بها.
- لقد استفاد الشيخ الهواري كثيرا من رحلته عبر بقاع العالم الإسلامي، فالرحلة تصقل المهارات والمواهب وتزيد في التجارب وتطور الذهنيات، وهذا بالفعل ما حدث للشيخ محمد بن عمر الهواري.

الهوامش

- 1- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ت: المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة، ص 451.
- 2- الراشدي، الثغر الجماني، ص 451
- 3- الراشدي، الثغر الجماني، ص 452.
- 4- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي بوعبدلي، علم المعرفة، الجزائر، ص 56.
- 5- محمد بن سعد الأنصاري التلمساني، روضة النسرین في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ت: يحيى بوعزيز، عالم المعرفة - الجزائر - 2009، ص 35
- 6- ابن سعد، روضة النسرین، ص 36
- 7- ابن سعد، روضة النسرین، ص 36.

8 - يروي الشيخ ابراهيم معظم روايات أستاذه الشيخ محمد بن عمر الهواري نظرا لملازمته له، ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان، عناية وترتيب: ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908. ص228.

9- ابن سعد، روضة النسرین، ص37.

10 - الراشدي، الثغر الجماني، ص. 461.

11- التبنكي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الدياج، دار الكتب العلمية، عناية وترتيب: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، دار الكتاب طرابلس ليبيا، 2000، ص517.

12 - الراشدي، الثغر الجماني، ص 461.

13 - ابن سعد، روضة النسرین، ص41.

14 - الراشدي، الثغر الجماني، ص. 462.

15 - الزباني، دليل الحيران، ص 56.

16 - ابن سعد، روضة النسرین، ص 42.

17 - ابن سعد، روضة النسرین، ص 42.

18 - الزباني، دليل الحيران، ص57.

19 - الزباني، دليل الحيران، ص 57.

20 - الراشدي، الثغر الجماني، ص 462.

المصادر:

- التلمساني، محمد بن سعد الأنصاري، روضة النسر في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين،
ت: يحي بوعزيز، عالم المعرفة - الجزائر - 2009.
- التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتب العلمية، عناية وترتيب: عبد
الحميد عبد الله الهرامة، ط2، دار الكتاب طرابلس ليبيا، 2000.
- الراشدي، أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ت:
المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- الزباني، محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي
بوعبدلي، علم المعرفة، الجزائر، 2009.
- ابن مرثم التلمساني، البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان، عناية وترتيب: ابن أبي شنب،
المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.